مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٤: ٧-١٣)

يا إخوةُ لكلِّ واحدٍ منَّا أُعطِيَتِ النِّعمةُ على مقدارِ موهِبةِ المسيحِ* فلذلك يقولُ لمَّا صعِدَ إلى العُلى سبى سبياً وأعطى الناسَ عطايا* فكونُه صعِدَ هل هو إلاَّ أنَّه نزلَ أولاً إلى أسافلِ الأرضِ* فذاكَ الذي نزَلَ هو الذي صعِدَ أيضاً فوقَ السمواتِ كلِّها ليملأَ كلَّ شيءٍ* وهو قد أعطى أن يكونَ البعضُ رُسلاً والبعضُ أنبياءَ والبعضُ مبشِّرينَ والبعضُ رعاةً ومعلِّمين* لأجلِ تكميلِ القديسينَ ولعَملِ الخدمةِ وبُنيانِ جسدِ المسيحِ* إلى أن ننتهي جميعُنا إلى وحدةِ الإيمانِ ومعرفةِ ابنِ اللهِ إلى إنسانٍ كاملٍ إلى مقدارِ قامةِ مِلءِ المسيحِ.

حول الرسالة

في الأحد الذي يلي عيد الظهور الإلهي نقرأ فصلاً من رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس (٤: ٧-١٣)، وهو مرتبط بكلام الرسول بولس حول وحدة الكنيسة التي هي جسد المسيح، الذي يتّحد المؤمنون به في المعمودية فيصيرون أعضاء في هذا الجسد. غير أنّ هذه الوحدة ترتبط أيضاً بتنوع مواهب أعضائها، وهي تتحقّق عن طريق العيش على أساس الإيمان الواحد وقانون المحبّة بين أعضاء الكنيسة الواحدة.

في الفصل الرابع من الرسالة إلى أهل أفسس يحثّ الرسول بولس الأفسسيّين على المحافظة على وحدتهم من خلال السلوك في التواضع والوداعة وطول الأناة والمحبّة. فالدعوة التي دعوا إليها هي واحدة، لأنّ صاحب الدعوة، أي الله هو واحد، والإيمان به واحد، ونحن نلبّي الدعوة من خلال معموديّتنا الواحدة: «أطلب إليكم أنا الأسير في الربّ أن تسلكوا كما يحقّ للدعوة التي دُعيتُم بها، بكلّ تواضع ووداعة وبطول أناة، محتملين بعضكم بعضاً في المحبّة، مجتهدين أن تحفظوا وحدانيّة الروح برباط السلام. جسدٌ واحدٌ وروحٌ واحدٌ كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد. ربٌّ واحدٌ، إيمان واحدٌ، معموديّة واحدة، إلهٌ وآبٌ واحدٌ للكلّ، الذي على الكلّ وبالكلّ وفي كلّكم» (٤: ١-٦).

إن وحدة الكنيسة لا تنفي التنوّع بين أعضائها، فأعضاء الكنيسة ليسوا نسخاً طبق الأصل عن بعضهم البعض، ولكنّ كلّ واحد منهم يتميّز عن الآخر بحسب النِعَم التي يغدقها الله عليهم: «ولكن لكلّ واحدٍ أُعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح» (٤: ٧). هذا التنوّع يغني الكنيسة ويدفع أعضاءها إلى التآزر من أجل الوصول إلى الكمال، محقّقين بذلك وصيّة الرب «كونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (متى ٥: ٤٨). والرسول بولس يوضح هذه الوحدة في التنوّع بشكل مسهب في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: «لأنّه كما أنّ الجسد هو واحدٌ وله أعضاءٌ كثيرة وكلّ أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسدٌ واحدٌ، كذلك المسيح أيضاً. لأنّنا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى

العدد ٢/٢٠١٣

الأحد ١٣ كانون الثاني

الأحد بعد الظهور الإلهي

تذكار الشهيدين

أرملّس واستراتونيكوس

اللحن السابع

إنجيل السَحَر العاشر

الإنجيل

(متى ٤: ١٢–١٧)

في ذلك الزمان لمَّا سمعَ يسوعُ أنَّ يوحنا قد أُسلِمَ انصرفَ إلى الجليلِ* وتركَ الناصرةَ وجاءَ فسكنَ في كَفْرَناحوم التي على شاطئِ البحرِ في تخومِ زَبولونَ ونفْتاليمَ* ليتمَّ ما قيلَ بإشعياءَ النبي القائل: أرضُ زبولونَ وأرضُ نفتاليم طريقُ البحرِ عَبرُ الأُردنِ جليلُ الأُممِ* الشعبُ الجالسُ في الظلمةِ أبصرَ نوراً عظيماً والجالسون في بُقْعةِ الموتِ وظلالهِ أشرقَ عليهم نورٌ* ومنذئذٍ ابتدأ يسوعُ يكرزُ ويقولُ: توبوا، فقدِ اقتربَ ملكوتُ السموات.

تأمل

أليس تنظيم الكنيسة حقاً، وبدون شك، عمل الروح القدس؟ ذلك لأنه حسب قول القديس بولس، «هو الذي أعطى الكنيسة أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلّمين، ثمّ قوات، ثم مواهب شفاء، فإنعامات، فتدابير، فأنواع ألسنة، جسدٍ واحدٍ يهوداً كنّا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً. فإنّ الجسد أيضاً ليس عضواً واحداً بل أعضاءٌ كثيرة. إن قالت الرِّجل لأنّي لست يداً لست من الجسد، أفلم تكن لذلك من الجسد؟ وإن قالت الأذن لأنّي لست عيناً لستُ من الجسد، أفلم تكن لذلك من الجسد؟ لو كان كلُّ الجسد عيناً فأين السمع؟ لو كان الكلّ سَمعاً فأين الشمّ؟ وأمّا الآن فقد وضع الله الأعضاء كل واحدٍ منها في الجسد كما أراد» (١كور ١٢: ١٢–١٨).

غير أنّ الإنسان، وبسبب ضعف إيمانه يظنّ خطأً أنّ هناك تنوّعاً أيضاً في مستوى المواهب، معتبراً أنّ هناك مواهب أفضل من سواها. هذا يؤدّي إلى التكبّر من جهة أولئك الذين يعتبرون مواهبهم أفضل من مواهب غيرهم، وإلى الحسد والغيرة من جهة أولئك الذين يعتبرون مواهبهم أقلّ قدراً من مواهب غيرهم، ويسعى الجميع إلى اكتساب تلك «المواهب الفضلى». لذلك يشدّد الرسول بولس في فصل الرسالة الذي يُقرأ على مسامعنا على أن مصدر هذه المواهب هو المسيح أولاً وأخيراً، وأنّ الغاية منها هي بنيان جسد المسيح: «وهو أعطى البعض أن يكونوا رُسُلاً والبعض أنبياء والبعض مبشّرين والبعض رعاةً ومعلّمين، لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح» (٤: ١١–١٢).

غير أنّ الطريق الوحيد للوصول إلى بنيان جسد المسيح هو المحبة، لذلك يدعونا الرسول بولس إلى تحقيق معموديّتنا التي تجعلنا أعضاء في جسد المسيح هذا، عن طريق السلوك وفق قانون المحبّة ورفض كلّ ما يسيء إلى الآخر وتجنّب كلّ ما يغذّي التكبّر والحسد. ولنا مثال على هذا وهو المسيح نفسه الذي سلك في المحبّة والتواضع والتسامح وبذل نفسه عن الآخرين: «فأقول لكم هذا وأشهد في الرب أن لا تسلكوا في ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببُطل ذهنهم... وأما أنتم فلم تتعلّموا المسيح هكذا، إن كنتم قد سمعتموه وعُلِّمتُم فيه كما هو حقّ في يسوع أن تخلعوا من جهة التصرّف السابق الإنسانَ العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق. لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كلّ واحدٍ مع قريبه، لأننا بعضنا أعضاء البعض... لا يسرق السارق في ما بعد بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطي مَن له احتياجٌ. لا تخرج كلمةٌ رديئةٌ من أفواهكم بل كلّ ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمةً للسامعين. لا تُحزِنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء. ليُرفع من بينكم كلّ مرارة وسخط وغضبٍ وصياح وتجديفٍ مع كلّ خبثٍ، وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح» (٤: ١٧–٢٢).

من هنا فإنّنا مدعوون إلى السلوك في الدرب التي سلكها الرب يسوع المسيح ومهّدها لنا، فلا يكون تشبّهنا به في ما بعد في الشكل ولكن في الجوهر، كما يعلّمنا الرسول بولس في الرسالة إلى أهل رومية: «نحن الذين متنا عن الخطيئة كيف نعيش بعدُ فيها؟ أم تجهلون أننا كلَ مَن اعتمد ليسوع

فترجمات ألسنة...» (١ كور ١٢: ٢٨) فإنّ الروح القدس هو يوزع هذه المواهب على المؤمنين.

نحو هذا الروح يتّجه الراغبون في نعمة تقديس نفوسهم والتائقون إلى العيش في التقوى والبرّ، لأنّ نسائم الروح القدس تهبّ عليهم، فيتابعون السير نحو غايتهم الطبيعية. فهو مكمّل الجميع ولا ينقصه شيء البتّة، وهو حيّ ولا يحتاج إلى عون وسند لأنّه موزّع الحياة. هو لا يزداد نمواً لأنه كامل بذاته، وثابت في جوهره، وحاضر في كلّ مكان. هو ينبوع التقديس، ونور ينير كلّ عقل لاكتشاف الحقيقة. هو لا يُدنى منه بسبب طبيعته، إنما هو قريب إلى الفهم بسبب صلاحه، هو مالئ كل شيء بقوّته، ولا يحظى بشركته إلاّ المستحقّون وحدهم إذ توزيعه لا يكون مقياساً واحداً، بل على قدر الإيمان. الروح هو بسيط في جوهره، إنما يظهر قدرته بتنوّع المواهب، هو حاضر كلّه في كلّ إنسان، وموجود كلّه في كل مكان. هو يوزّع دون قسمة، ويعطى كاملاً لكلّ إنسان. وهو، كشعاع الشمس، الذي يستطيع كلّ إنسان

المسيح اعتمدنا لموته؟ فدُفّنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدّة الحياة، لأنه إن كنّا قد صرنا متّحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته» (رو ٦: ٢–٥).

الهدف إذاً هو التشبّه بالمسيح، لا بل الإتحاد به، فنبدأ في المعمودية فنكون أعضاء في جسده،ونعمل معاً في المحبّة «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانيّة الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٣).

في المعمودية

«إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس» (متى ٢٨: ١٩). عملاً بوصيّة السيّد هذه، انطلق الرسل عند نيلهم الروح القدس في يوم العنصرة ليبشّروا بالسيّد وقيامته من بين الأموات. تحوّل عددٌ كبير من سكان أورشليم وجوارها إلى المسيحيّة وكان الرسل يعطونهم نعمة الروح القدس. المعمودية كانت تسبق حلول الروح لتنقية الإنسان من خطاياه ولكي يولد مجدّداً في الكنيسة. عندما أدرك الخصيّ الحبشيّ البشارة التي بشّره بها فيلبُّس، طلب منه أن يعتمد (أع ٨: ٣٦–٣٧). أهل السامرة «اعتمدوا رجالاً ونساءً» (أع ٨: ١٢) على يد فيلبُّس. ثم لما «سمع الرسل الذين في أورشليم ان السامرة قد قبلت كلمة الله، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا، اللذين لما نزلا صلّيا لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس. لأنه لم يكن قد حلَّ بعد على أحدٍ منهم، غير انهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع. حينئذٍ وضعا الأيادي عليهم فقبلوا الروح القدس» (أع ٨: ١٤–١٧).

إنّ فكرة العماد لم تكن غريبة عن الشعب اليهودي الذي خرج بأعدادٍ كبيرة ليرى يوحنا المعمدان في البريّة ويعتمد على يديه. يوحنا هذا كان يقول إنه سيأتي بعده مَن يعمّدهم بالروح القدس والنار.

مع ازدياد عدد المسيحيين كان لا بدّ للتلاميذ من تنظيم جماعة المؤمنين. وُضعت نظم وقوانين لهذا الهدف، يعقوب أصبح مدبّر كنيسة أورشليم أي أسقفها، وأسندت إلى بولس الرسول مهمّة تبشير غير اليهود. أمّا مجمع الرسل الذي عُقد في أورشليم فقد نظّم العديد من الأمور وهو الصورة الأولى للمجمعيّة في الكنيسة ولعمل المؤمنين بإلهام الروح القدس. طالت هذه التنظيمات الطقوس والعبادة بما فيها سرّ العماد الذي هو من أقدم الأسرار المقامة في الكنيسة وقد وضعت له قوانين منذ ذلك الحين.

يُذكر انه في المسيحيّة الأولى عندما كانت الصلوات تُقام في المنازل بشكل سرّي بسبب الإضطهادات، كانَت هذه البيوت تضمّ غرفاً مخصّصة للمعموديّة.

من حيث الشكل كانت المعموديّة تتمّ عبر نزول المقبل إلى المسيحيّة إلى فجوةٍ في الأرض يمرّ فيها ماءٌ جارٍ وعلى طرفيها درجٌ كيما ينزل المؤمن من الجهة الغربيّة ويصعد من الناحية الشرقيّة. وقد كان يُدهن جسد المزمع أن يعتمد بالزيت قبل نزوله في الماء. يشبّه القديس امبروسيوس من حيث التوقيت، فقد كان العماد محصوراً في يوم واحد في السنة هو يوم السبت العظيم المقدّس. كانت خدمة الفصح

أن يتمتّع به كأنّه مُعطىً له وحده، وهو ينير الأرض والبحر ويمتزج بالهواء، هكذا الروح يمنح النعمة للإنسان فيظنّ أنّه يتمتّع بها وحده. فهو يملأ الجميع نعمة ويبقى دون نقصان. والذين يتقبّلونه ينالونه حسب قدرة استيعابهم وطاقتهم، لا على قدر طاقته هو.

إنّ دخول الإنسان في وحدة مع الروح لا يتمّ بتقارب جسدي ومكاني، لأنه يستحيل الاتّحاد جسديًّا بالمنزّه عن الجسد، بل يصير بإقصاء ونبذ الشهوات التي عندما تسيطر على الإنسان تخضعه للجسد فيفقد حينئذٍ الوحدة والصداقة مع الله. وهكذا، عندما تتنقى النفس من البشاعة التي التحفت بها بسبب الرذائل، وتسترد جمال صورتها الملكية فهذا يجعلها تتقرّب إلى الروح المعزّي، الذي يكشف لها في ذاته صورة الذي لا يرى، وبهذه المشاهدة السعيدة ترى جمال المثال الأول الذي يعجز الإنسان عن وصفه.

القديس باسيليوس الكبير

عبارة عن سهرانيّة تبدأ مساء السبت وتتواصل إلى أحد الفصح. مع مطلع القداس الإلهي يخرج الأسقف مع الموعوظين المزمعين أن يعتمدوا إلى المكان المخصّص للمعمودية. في هذه الأثناء تتلى قراءاتٌ متعدّدة إضافةً إلى التراتيل داخل الكنيسة في انتظار عودة الأسقف مع المعتمدين. عند دخول هؤلاء يرتّل المؤمنون «أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم، المسيح قد لبستم» عوض ترتيل التريصاجيون «قدوس الله قدوس القوي...» كما يحصل عادةً في القداس الإلهي. يلي ذلك استكمال خدمة القداس الإلهي كالمعتاد عبر قراءة الرسالة والإنجيل وما يليهما.

مع ازدياد عدد المقبلين لتقبّل سرّ العماد زادت الكنيسة من الأيام التي يُتَمّم فيها هذا السر. أصبح هذا السرّ يقام في عيدي العنصرة والظهور الإلهي إضافةً إلى يوم الفصح. تمّ اختيار هذين اليومين لأنّ يوم العنصرة هو يوم حلول الروح القدس على الرسل والمجتمعين معهم، أمّا الظهور الإلهي فهو اليوم الذي تحتفل فيه الكنيسة بتذكار عمادة الرب يسوع.

إنّ هذا السر المعروف بالعماد إنما يضمّ ثلاثة أسرار: السرّ الأول هو المعمودية وهي الباب إلى الحياة المسيحيّة وللإنضمام إلى هذه الجماعة. الثاني هو الميرون أي منح ختم الروح القدس. بعد إتمام هذين السرّين يصبح الإنسان مستحقًا للإشتراك في جسد المسيح ودمه فيحصل على السرّ الثالث أي سرّ المناولة الإلهيّة. ومن غير الجائز قطعاً فصل هذه الأسرار عن بعضها البعض.

حلول الروح القدس كان يحصل بوضع يد الأسقف على المؤمن فور خروجه من جرن المعموديّة. إلاّ أنّه ومع تطوّر الحياة الاجتماعيّة وتكاثر المؤمنين، أصبح الكاهن يقيم هذا السر نيابةً عن الأسقف. لهذا السبب نستخدم الميرون المقدّس لمسح جسد المؤمن فور خروجه من جرن المعموديّة، والذي بواسطته تحلّ نعمة الروح القدس وذلك عوض وضع يد الأسقف.

أمّا المناولة التي لا تعطى لغير المعمّدين فتكون في هذا اليوم هي المناولة الأولى، وتجسّد دخول المعتمد حديثاً دخولاً تاماً في حياة الجماعة المسيحيّة. يدخل الإنسان إلى الكنيسة، شعب الله الجديد، ويصبح عضواً في هذا الجسد، الذي رأسه الرب يسوع.

عيد القديس أنطونيوس

بمناسبة عيد أبينا البار أنطونيوس الكبير المتوشح بالله يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأربعاء ١٦ كانون الثاني وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الخميس ١٧ كانون الثاني في كنيسة أبوينا البارّين أنطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي في دار المطرانية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb